

فلسفة الحركات في اللغة العربية

الأستاذ أحمد الأخضر غزال

مدير معهد الدراسات والبحوث للتعريب

— الرباط —

1 - التسم الاول :

ويعوم حفافه ولسانه وشفتيه فيخرج الكلام بكل انواع اصواته الشديدة منها والمتوسطة والخفيفة والثقيلة والطوية والقصيرة الى غير ذلك من غرائب خلق الله وعجائبه سبحانه تعالى عز وجل .

الاصوات اللغوية :

واذ لا حركة ولا سكون الا باذن الله فان الاصوات التي يخرجها الانسان من جهازه لا يخرجها بدون سبب كما ان لكل ما يصدر عن الانسان ولكل ما يحصل له اسبابا منها المجهول ومنها المعلوم ، بله : كل ما يقع ويحدث في هذا العالم بمعناه العام له اسباب ، ولهذه الاسباب اسباب اخرى لها اسبابها التي تنشأ عن أسباب ، منها المجهول ومنها المعلوم الى غير ذلك من اسرار الطبيعة التي لا نعرف عنها الا القليل . وعلم الاصاتيات بخبرنا بالحركات التي تؤدي بالجهاز الاصاتي الى اخراج الصوات (فونيمات) التي تشكل الحروف ويجعلنا نقف عند حدود الفوارق ومؤثراتها .

ففيما يخص صويته الباء بالنسبة الى صويته الهاء مثلا نعلم جميع ما يحدث اثناء التلغظ بهاتين الصوتيتين . فان صويته الباء يتطلب اخراجها مجهودا أكبر من المجهود الذي يقتضيه اخراج صويته الهاء ، لانه يفرض العمليات الآتية :

يحدث نشاط كيميائي وكهربائي تفاعلي داخل المشتبكات (والمشتبكات هي الامكنة التي تشتبك

من المعلوم ان اللسان هو العضلة الاساسية التي نستعملها داخل الفم لاجراء الاصوات اللغوية بمشاركة اعضاء اخرى خصتها طبيعة التركيب البدني بالمساهمة في انتاج الكلام على اساس تيق نفساني يديع يتصرف في عمليات بدنية متسلسلة خلاصتها ان موجات صوتية متتالية منشؤها ذبذبات فيزيائية . تنتشر في الهواء وتدخل في الاذن فتتحول عندما تصدم العصب السمعي الى سيالة (اي كهرباء بدنية) تنسرب الى ملايين الخلايا الدماغية لتثير صورة سمعية تنشأ عنها صورة بصرية . ويجب ان تكون الصورتان متطابقتين تطابقا تاما والا حصل سوء الفهم . ويحدث في الدماغ اثناء التفكير وقبل الرد بالجواب بموجات اخرى ما يحدث فتنتقل من فم المجيب ذبذبات اخرى تنشيء موجات بدورها تطير في الهواء وتصدم اذن المستمع وتلتقي بعصبه السمعي فتتحول الى سيالة اخرى وتصل الى وحداته العصبية لتثير صورته السمعية يجب ان تكون صورتها البصرية مطابقة لها مطابقة تامة والا حصل سوء الفهم من جديد . ويحدث في دماغه ما يحدث من التفاعلات الكيميائية والفيزيائية والاحيائية (اي البيولوجية) والنفسانية والروحانية والعقلية وغيرها ولا يدوم هذا كله الا مدة رمشة العين قبل ان ينبث الامر بالاجابة فتتسرب بالسيالة من جديد من المراكز والمناطق الخاصة بالكلام والسمع والبصر لتحرك بواسطة اعصابها العضلات المتحركة في اجهزة الكلام كالحنجرة واوراها وغضاريفها وكالقم

المفوح وحاملا صوت الباء الجهيرة عبر الهواء الطلق
في شكل موجات صوتية .

هذه العميات كلها بتناسقها العجيب وأنواع
حركاتها الدماغية والعصية والعضلية الدقيقة هي
التي تتطلبها الباء ونحن غير شاعرين .

أما الهاء فلا شيء من ذلك فيها إلا خروج الهواء
انحامل ذبذبات الوترين الصوتيين بينما تكاد أعضاء
الغم تكون في حالة استراحة وارتخاء .

وما يحدث للباء خفيف بالنسبة الى القاف والكاف
والراء والحاء والشين والصاد وثقيل بالنسبة الى
الحاء والعين والغين والفاء والهنزة الخ . . .

وإذا اشتد خروج الاصوات الثقيلة فذلك لسبب .
وإذا خف فذلك لسبب أيضا أرادته العقل ليعبر عن
الشدّة مع الاصوات الشديدة وعلى اللبونة مع الاصوات
اللينة ومثال ذلك : هف وقض ، فهفت الريح : هبت
فسمع صوت هبوبها ، وهب الريح : خف وعمب
الرجل : اسرع في سيره والهب انخفيف من الناس ،
وكل شيء خفيف لا شيء في جوفه والسلك الصغار ،
وسحاب هف : رقيق لا ماء فيه . بينما نرى في قض
ما يبني : قض عليهم الخيل ارسنها ونشرها وقض
الحائظ هدمه هدمًا عنيقا وقض الودد : قلعه وقض
الشيء دقه وقض السير أو الوتر ، سمع له صوت
كأنه قطع الى غير ذلك من المعاني . فكأنما خفت في
خف اشتدت في قض .

وهناك فكرة أخرى وهي فكرة الاستعانة ،
استعانة الصوت بالنسبة للمدلول . فان كان صوت
الهاء لا يتطلب نفس الجهد الذي تتطلبه القاف والراء
مثلا فان اصوات الحروف وانغامها ورنينها وأجرامها
موضوع استحسان أو استخشان من طرف الانسان
(انظروا هنا الى الفرق بين مادة حسن ومادة خشن ،
فالحاء لطيفة والحاء ثقيلة) فلكل لطيف وانيق وجميل
وحلو ومطرب ومفرح ومسمد اصوات لطيفة لينسة
وموسيقية ، ولكل خشن وثقيل وخبيث وبشع ومقلق
ومحزن الخ . . . اصوات تناسب تلك الصفات بمعاني
اصواتها .

وهذه الافكار انتبه اليها فقهاء اللغة القدماء
فخصصوا لها ابوابا مشهورة عنوانها بمطابقة اللفظ
للمعنى ، ومن أشهرهم في هذا ابن جني ، كما الفوا
فيها كتبا أشهرها قاموس مفاتيح اللغة لآحمد ابن
فارس ، الا ان علماءنا المحدثين ممن تتلمذوا على

فيها الاستطلاات الشعرية الخاصة بالوحدات المعيبة
التي تنساب معها السيادة العصبية ، وهذه المشتبكات
تشبه مرآة كهربائية (اي بطاريات) فيها عدة خلايا
في كل واحدة منها مادة كيميوية أساسها الكالسيوم
والبوتاسيوم والصوديوم وأنواع مختلفة من العناصر
النادرة كالحديد والمنغنيز والبور والماغنيزيوم
والكوبالت الخ . . . والكلمة منمات (ذائب) في سائل
خاص يسمى الخليل المراري (الاستيلكولييسن)
والتفاعل الكيموي الذي يحدث في هذه المشتبكات
يخلق الكهرباء الخاصة بالبدن وهي السيادة . وهذه
السيادة مهمتها حمل الإهجات (اي الطنقات العصبية)
الى الوحدات العصبية الأخرى أو الى أجهزة التنفيذ
المحيطة كالعضلات مثلا . وفيما يخص نقطة موضوعنا
بالضبط تتسرب طنقات سيالية نحو عضلات الحجاب
الحاجز لترتفع الاضلاع فتنتفخ الرئتان اذالك ويحدث
امتصاص للهواء الخارجي الذي يتسرب اليهما من
منفذ الانف أو الفم أو منهما معا - بعد ان حصلت في
مشتبكات أخرى من الدماغ عمليات أخرى لامر عضلات
الغم بفتحها - فينساب الهواء مع الرغامى (اي القصبة
الرئوية) الى القصبتين اللتين تتشعبان في الرئتين ،
وذلك بعد حدوث اهجات أخرى في الدماغ امرت
عضلات الحنجرة بابعاد الوترين الصوتيين الواحد عن
الأخر لينفخ المجال امام الهواء الجاري نحو الرئتين -
ثم بعد ذلك تنطبق الشفتان الاحدى على الأخرى عندما
تضغط الرئتان الهواء ليقر منهما متسربا مع الرغامى
فيجد الأوتار الصوتية قد تباعدت لتسمح له بالمرور
فيصل الى البلعوم وعند ذلك أو قبل ذلك بقليل يرتفع
الحفاف بلهاته وينطبق على منفذ الانف ليسده مانعا
الهواء من التسرب منه حتى لا تحصل الفنة في صوت
الباء ثم يصل هذا الهواء الى الفم ويريد النفوذ من بين
الشفقتين فيجدهما منطبقتين كما اسلفنا فيصدمهما
ويحاول تفريجهما فتزداد حركة عضلات الشفتين تقلصا
ويزداد انضمام الشفتين شدة لمنع الهواء من الخروج
ويشتد ضغط الهواء على الشفتين وعلى الشدقين
وعلى الحفاف وكل هذه الاعضاء تقاوم ذلك الضغط
بالتقبض والتقلص ، وإذا بالوترين الصوتيين يقتربان
ويشرعان في التذبذب لانشاء ما يسمى باللحن
الحنجري الذي سيجمل من حرف الباء حرفا مجهورا
لا مهموسا فتحصل اذالك عملية الترنن وهي فزيائية
محضة ، وفجأة تباعد الشفتان الاحدى عن الأخرى
وينفث الهواء المضغوط بعنف وشدة خارجا من الفم

العلماء الاوربيين اقلعوا عن هذه الابحاث النفيسة لانهم عملوا بنظريات العلماء الغربيين الذين فشلوا في بحث هذا الموضوع ولا غرابة ، لانهم لهم يحافظوا على لغتهم الاصلية فأصبحت لغاتهم خليط لهجات لا تطابق طبيعتها عبقريتهم ، اذ لكل شعب خصائصه اللغوية لا سيما في موضوع الاستغاثة ، فهذا الشعب الالمانى مثلا يستحسن صوتية الخاء وصوتية الراء الالمانية ، بينما الشعب الفرنسى يستحبها . وهذا الشعب الانكليزي ينفر من « تغنين » الانكليزية ، بينما الشعب الامريكى يستحسنها - وبينما لا نرى شعبا اوروبيا يجيد صوتية (u) اذا بالشعب الفرنسى يكثر منها - وتغلب صوتية الشين فى البرتغالية ، كما تغلب عملية التفعر البلعومي فى اللغة الروسية ، وما أحنى صوائت الحاء والهاء فى اذنا ، وما أقبحها فى اذن غيرنا الخ . . من الاعتبارات التي يرجع سببها الى اختلاف الذوق .

لهذا كله لا تصح هذه النظريات الا فى موضوع لغة أصلية بالنسبة الى شعبها الاصيل ، ومعنى هذا انها لا تنطبق على الالفاظ الدخيلة والاجنبية مع مراعاة التفاوت داخل شعب واحد ، ومن قبيلة الى قبيلة ، ومن بطن الى بطن ، ومن حي الى حي ، وحتى من عائلة الى عائلة ، ومن أسرة الى أسرة .

ولا ننظر الوصول الى نظرية شاملة قائمة على أسس متينة فى مدة قصيرة لان فى هذا المطلب من التداخل بين الاصوات باعتبار الحقيقة والمجاز وباعتبار الاقدمية والاحداثية وتغير الصوائت عبر التاريخ بالنسبة الى اللهجات العربية من جهة وبالنسبة الى تغير الدلالات من جهة اخرى مما هو فى الحاجة الى تضافر الجهود وتبادل الخبرات وتوفير اجهزة المد والاحصاء والترتيب والتصنيف الشيء الذي ينقصنا اليوم . وقد يتبادر الى الذهن أن هذا العلم فى تناول اي شخص اذا ما اعتمد على الملاحظة والمقارنة بوسائله الخاصة . كلا! وحذار ثم حذار! لان اجدادنا اللغويين وهم المعروفون بالدقة والاجتهاد وسعة الباع ان اجادوا فى بعض هذا العلم فان وسائل تقصتهم فتوهموا فى بعضه الآخر .

واذا كانت الحروف تتكون من الصوائت فان الكلمات تتكون من الحروف . واذا كان لكل حرف معنى فان مجموع معاني الحروف يؤدي الى معنى الكلمة ومجموع معاني الكلمات يؤدي الى معنى الجملة ، وهنا قال علماءنا بمطابقة التراكيب للمعاني كذلك وقالوا ان

الزيادة فى المبنى زيادة فى المعنى . بدون اعتبار دوران الحركات فى الاوزان . فبحر جمعه بحور وبحار وابحرة واباحير وابحار ، والبحر قليل التركيب لانه يدل على المفرد وجموعه أطول منه لانه يدل على الكثرة . ولكن تحديد المعاني بالتراكيب اختلف فيه كما اختلف فى ما سبق لعدم توفر مواد البحث فى ما وصل اليه العلم الحديث . الا انهم تركوا هذا الموضوع لتعقده واشكاله فلم يعيروا الحركات الاهمية التي تستحقها وغلبت عليهم نظرية السماع والقياس التي كانت سائدة فى العلوم اللغوية آنذاك مما أدى الى ما يسمى اصطلاحا بالعامل المؤثر باعتبار متن اللغة او فى ما هو ضمنى باعتبار الاعراب . كل ذلك لغاية واحدة هي المحافظة على التراث اللغوي وعلى القرآن ورفع اللحن الذي كان قد انتشر بصورة مهولة . اصف الى ذلك انه كلما ثبت عند بعضهم القياس الا واضعفته شواهد سماعية شاذة مما أدى الى بليلة الافكار واللجوء الى السماع مع الإبقاء على فكرة القياس رمزيا لان احدا من القائلين بالقياس لم يجرؤ على تغيير ما أصبح شائعا من اللغة واحلال القياس محل السماع . فبقدر ما درسوا معاني الحروف وتوفقوا فى بعض نواحيها بقدر ما فشلوا فى معاني الحركات ولم يصلوا الى نتيجة علمية تجعلهم يشيدونها بمشابة قاعدة . فكلهم قالوا عن الفتحة انها أخف الحركات العربية لذلك كثرت فى اللغة وقالوا عن الضمة انها أثقل من الفتحة وقالوا عن الكسرة انها أثقلها . اذن بنوا حكمهم فيما يرجع الى الحركات على اساس سمعي لا جسماني كما فعلوا ذلك فيما يخص الحروف . وهذا الاساس السمعي هو الذي سنحاول الكشف عنه :

فجاء ابراهيم مصطفى فى عصرنا الحديث والى كتابه المشهور « احياء النحو » الذي كان له أكبر صدى فى هذا الميدان فعمل الفتحة بأنها أخف الحركات وانها تدل على شيء وعطل الضمة بأنها علم الاسناد ودليل على ان الكلمة المرفوعة يراد بها الاسناد اليها والمحادثة عنها . اما الكسرة فانها علم الاضافة ، وأشار الى ارتباط الكلمة بما قبلها سواء كان هذا الارتباط بأداة او بغير أداة ، وقال ابراهيم انيس بعدم معاني الحركات فى الاعراب (انظر أسرار العربية) وقال المخزومي : ليست الفتحة علما لشيء خاص ولكنها علم كون الكلمة خارجة عن نطاق الاسناد (الذي هو للضمة) او الاضافة (الذي هو للكسرة) وان الفتحة هي الحركة الخفيفة المستحبة التي يهرع اليها العربي ما وجد الى الخفة سبيلا ، وهو رأي الخليل وسيبويه ، واما ابراهيم

لانه يتغير وليس بتأبث كالاسماء . ولا تضم الا اذا بني للمفعول . فيبقى الفتح في فاء كل فعل ماض - اما الحرف الاخير فهو مبني على الفتح الا اذا طرا عليه ما يضمه أو يسكنه . وحرف الوسط فقد ذكرنا ما جاء عندهم فيه .

ونستنتج مما سبق انه ليس هناك قاعدة عامسة يطعن الفكر اليها ويركن وان السماع هو الاساس بيد انه اذا تتبعنا بازاء معالجة معاني الحروف ، معاني الحركات قد نهتدي الى شيء مضبوط ناتج عن الاحضاء من جهة وعن اعتبار قانون الجهد والكسل المهيمن على كل ما هو من قبيل تصرف الانسان في عميق حياته . اذ منذ ان ظهر الانسان على البيطة الا وحاول وما يزال يحاول ان يوفر لنفسه اسباب الحياة بأقل جهد ممكن مما ادى به الى هذه الاختراعات العجيبة التي يريد تسخيرها لخدمته ليعيش سعيدا والسعادة لديه معناها الحصول على كل ما من شأنه ان يلبي رغائبه وحاجاته وآماله بلا تعب ولا مشقة . اضع الى ذلك ان له نشاطا عقليا جعله يتصور العالم بصورة مختلفة باختلاف الاغراض والهوايا والاماني والخيال والشعور وبما يؤثر به على الطبيعة وعلى غيره من البشر وبما يتأثر به من الطبيعة ومن المجتمع . ومن الاسباب التي دفعتنا الى تركيز البحث على معاني الحركات التناقض الظاهر في مدلولاتها .

فهذه لغة - العربية تبدو لك في كتابتها مبنية على اساس حروف صامتة وهذه الحروف لا تصوت الا مع علامات خاصة توضع فوقها او تحتها وهذه العلامات لا تنطق وحدها لانه لا يوجد في العربية معنى يفسد بصوت حركي مفرد كما هو الشأن في اللغات الاوروبية حيث « او » (ou) مثلا تفيد مدلول المكان ، او التخير يعني انه لا يوجد لفظ مكون من حركة واحدة والكلام كله صوائب (جمع صوتية = فونيم) مركبة من حروف مع حركاتها لا من حروف وحدها ولا من حركات وحدها فالكلام عند العربي من كلم اي جرح وشق بمعنى فتح - الصمت) فهو مكاشفة ومباشرة من الكشف اي رفع الستار عن المختبىء ومن البشر اي الشق والفتح - والعربي يعتبر ان الانسان في سكوت وسكون وهدوء بالنسبة الى العالم الذي يعيش فيه وبالنسبة اليه اي الى وضعه فيه ، فهو يكلم هذا العالم الغريب عند التعبير كما يفطر ذلك الصمت الذي هو الصيام ، لذا سمي انطارا من فطر اي شق وقطع ، الله فاطر السماوات والارض اي خالقها من فعل خلق اي شق : خلق وخرق وخرج وحرك الخ . والحركة

السامرائي فانه يقول في الفتحة انها وجدت في كثير من اللغات السامية الا انه سرد اقوال « مارسيل كوهن » و « يوهان فوك » الذين يثبتان بان اللغات السامية كان لها اعراب ، ولم اعثر على نظر له في هذا الموضوع . اما اثبات الاعراب فانه جاء في معظم كتب اللغة من الصاحبى والمزهر الى كتب فقه اللغة الحديثة .

ومن الذين عالجوا هذا الموضوع عبد الله العلابي الذي قال : « باب ضرب يضرب » يخضع له التلبس بحركة الفعل في الزمن الحاضر ، بينما الخمسة الاخرى فلافادة معنى زائد . . . فاذا اردت الدلالة على التفوقية او التركب فسوق الدلالة على التلبس بالحال الفعلية تنقل الفعل الى باب نصر ينصر ولذا طرده اللغويون في المفارقة والمبالغة (فامرته فقمته فانا اقمه) واذا اردت الدلالة على التقلب والانسراح تنقل الفعل الى فتح يفتح ولا تلق بالا الى ما اشترطه اللغويون من ان هذا الباب خاص بما كسان عينه اولامه حرف حلق فهو تقدير واهن . . . واذا اردت الدلالة على التغير خلوا وامتلاء وجودا او عدما تنقل الفعل الى علم يعلم . . . واذا اردت الدلالة على الرسوخ والطبع تنقل الفعل الى حسن بحسن واذا اردت الدلالة على التجزؤ (والتقسم تنقل الفعل الى سباب ورث يرث) انظر المعجم للعلابي .

وهذه الاقوال كلها اما تكرير لما قاله القدماء واما استنباط منها ، اذ قالوا اجمالا ان « فعل » يفتح العين لمعان كثيرة لا تنضب ، منها القلب : قامرني فقمته اقمه اي اقلبه في القمر ، ومنها ان افعال الحدوث تندرج تحت عنوانه - بينما فعل يشمل افعال الفرائز والطبائع فيدل على لزوم مداولاتها لان ما يقتضيه الطبع يدوم بدوامه وتكثر فيه العليل والاحزان واضدادها . . . وتجيء في غير فعل الا انها فيه اكثر منها في غيره ، وفعل للطبائع وهي الافعال اللازمة الصادرة عن الطبيعة وهي القوة الموجودة في الشيء التي لا شعور لها بما يصدر عنها ، وخص الضم بها لانضمام الطبيعة الى الذات عند صدور هذه الافعال منها كانضمام الشفتين عند خروج الضم منها .

وفي الحرف الاول من الفعل قالوا : لما كانت العرب لا تبتديء بساكن فلا تكون ساكنة فاؤه ساكنة ولا تكون مكسورة - الا للضرورة وذلك عندما يكون الفعل اجوف وبني للمجهول او من باب فعل وهو اجوف كذلك وتضم كذلك في الاجوف من باب فعل لا غير - اذن لا تكون مكسورة لقوة الكسرة وهو قليل

الغم من العض والقطع للمأكولات وهذه العملية عملية
 افعال الغم - هي أساس حياة الرجل لتلبية حاجته
 الاساسية ليعيش اما ابعاد الفك السفلي عن الفك
 العلوي فتقوم به ثلاث عضلات كذلك الا انها ضعيفة ،
 وهي ذات البطنين Digastrique والظرسية
 الامية Mylohyoïdien والدقنية الامية
 Géniohyoïdien فعملية الافعال اذن بفضل
 عضلاتها القوية اسهل وأيسر من عملية الفتح الضعيفة
 العضلات فأخراج الفتحة اصعب من اخراج الضمة
 التي تقتضي فتحا اقل من الذي للفتحة وهي اصعب
 بدورها من الكسرة التي تقتضي انفتاحا قليلا للغم حتى
 ان صوتية الكسر قد تخرج ويكاد الكفسان يكونان -
 منطبقين الواحد على الآخر وفي الحقيقة اذا قال
 القدماء بخفة الفتحة وتقل الضمة والكسرة باعتمادهم
 على ظاهرة الجمال الصوتي فذلك له اساس في اعماق
 الانسان الا وهو الكلام المفتوح يروق لما يوحى به من
 حركة ونشاط وحيوية وارادة بالنسبة الى الكلام
 المكسور ان الذي يشير الى الانهزام والخضوع والرذوخ
 وبالنسبة الى الضم الذي يدل على التراكم والتفاقم
 والسكون والركود .

واذا تمهلنا في هذه النظرية وتاملناها تأملا
 متندا عميقا في حد ذاته ثم بالنسبة الى اصول اللغة
 لا الى فروعها وأخطائها وشائنها ، وتبصرنا امورها
 الباطنية اعتمادا على فلسفة الحركات بالنسبة الى
 البدن البشري وطبقناها تطبيقا محكما ، امكننا اذنا
 ان نشيد نحوا جديدا منطقيا يكشف لنا الستار عن
 النحو القديم الاصيل الذي بنى عليه العرب القدماء
 لغتهم فأصبحت مطابقة لاغراض عقلمهم وشعورهم
 واحاسيسهم اي بكلمة واحدة مطابقة للحياة ، اذا فعلنا
 هذا ستصبح اذنا العربية اسهل اللغات بالنسبة الى
 العقل اي بالنسبة الى ما يريد العقل التعبير عنه
 فيمكن حينئذ ان نسترجع ملكة اللغة العربية التي
 ضاعت وبضياعها انزوت في السماع اي في الحفظ
 بخطئها وصحیحها بدون معيار للتمييز بين الصالح
 والفاقد وبين التطور الدائر المتكرر والتقدم القاصد
 الهادف الى الكمال .

الامثلة :

خذوا مثلا مادة « دخن » التي جاءتنا منها الابنية
 الثلاثة : دخن ودخن ودخن ، فانكم تجدون ما يلي :

اما يقوم بها الانسان واما تحصل له من غيره من البشر
 الذي يعيش معه او من العالم الذي هو فيه بالنسبة
 الى عناصره من ريح وبرد ومطر ونار الخ ... فهو اما
 مؤثر على العالم واما متأثر به . فالعربي . بهذه
 الفلسفة التي تتجلى في لغته واضحة لانه حافظ نسيبا
 على اوضاعها بينما نراها اندرست في اللغات الاخرى
 يرى العالم في ابعاد ثلاثة كما ان لغته مبنية على ثلاث
 حركات ، حركة الفتح أي التأثير على العالم الخارجي
 وهو عمل صادر عن الارادة ، مثل ضرب وقتل وخرج
 ونطح وقطع واكل وفتح ودحل وصرع الخ .. وكلها
 افعال مفتوحة العين لان الفتحة تدل على العمل الصادر
 عن الفاعل بارادة منه حقيقة او مجازا - ثم حركة
 الكسر اي التأثير الذي يحصل للفاعل من طرف العالم
 الخارجي ، فالكسر والخسر والقصر والخزل كلها
 بمعنى حصول الشيء للفاعل المغلوب المقهور . فالفعل
 المكسور العين يدل على كل ما يحصل للفاعل بدون
 ارادة منه حقيقة او مجازا مثل مرض وحزن وعطش
 وعلم وفرح وسقم وغرق وعسور وحذب وجزع الخ ..
 ثم الضم (والظم والتم وكلها تدل على التجمع والكثرة
 والدوام والثبات) ك : حسن وخشن وكبر وصفير
 وقرب وعرج وعور ودخن وشرف وكلها بمعنى حصول
 الشيء للفاعل لا حصولا طارئا أو مؤقتا كما هو في
 فعل بل بكثرة ودوام وثبات ونهاية . كل هذا مبني على
 اساس قانون الجهد والكسل الذي اشرنا اليه . فيما
 ان الحروف بشدتها ورخاوتها ، برخومتها وخشونتها
 تصدر عن الانسان للدلالة على الشدة والرخاوة والرخومة
 والخشونة في الاشياء ووصافها فان الحركات كذلك
 يجب ان تعتبر على هذا الاساس الجسماني الا ان فكرة
 الثقل والخفة بالنسبة الى الاذن حسب ما ذهب اليه
 الافدمون فكرة ناقصة لانها مبنية على ظاهر اللفظ لا على
 باطنه المحرك الذي هو النشاط العصبي الدماغى
 بالنسبة الى تحكم الانسان في كلامه . واذا كان ذلك
 كذلك فلنا ثلاث حركات تقوم بها اعضاء الكلام لاخراج
 ثلاثة انواع من الحركات : الفتحة والضمة والكسرة
 التي تتصرف في جميع اللغة ، فلماذا الفتحة تدل على
 العمل الارادي ؟ لان فكى الغم عند اخراج صوتية الفتحة
 يتعدان الواحد عن الآخر . وما الذي يبعدهما ؟ ثلاث
 عضلات : الاولى عضلة قوية جدا عريضة وغلظة تسمى
 الماضفة Masseter وعضلة ثانية تساعد الاولى
 وهي الجناحية Ptérigoïdien وعضلة ثالثة
 هي الصدغية Temporal تساعد الثانية
 اذن ثلاث عضلات قوية لرفع الفك الاسفل حتى يتمكن

دخن (بفتح العين) الدخان : اذا سطم وارتفع .
وهنا تشخيص للدخان وكأنه يرتفع بارادة منه .

ودخنت (بفتح العين) النار : ارتفع دخانها
اي اطلقت الدخان فارتفع . وهنا تشخيص كذلك
لفعل الفعل اراديا) .

ودخنت (بكسر العين) : التي عليها حطاب
فأفسدت فهاج دخانها (والمعنى واضح ، أي حصل لها
الدخان وأصيبت به فأصبح الدخان يحصل لها ويؤثر
عليها) .

ودخن (بكسر العين) الطعام واللحم وغيرها :
اذا اصابه الدخان في حال شبه أو طبخه حتى تعطب
رائحة الدخان على طعمه (وهنا معنى الحصول واضح) .

ودخن (بكسر العين) الطبخ اذا تدخنت القدر -
وشراب دخن (بكسر العين) : متغير الرائحة (اي
بالمعنى الحقيقي رائحته هي رائحة الدخان وبالمعنى
المجازي : لم تبق رائحته الاصلية فتغيرت واطلق
اللفظ على سبيل العموم) -

ودخن (بفتح العين) الغبار : سطم وارتفع اي
كما يسطم الدخان يسطم الغبار) -

ودخن (بكسر العين) خلقه : ساء وفسد وخبث
(بمعنى حصل لها السوء والفساد والخبث) ودخن
(بضم العين) النبات ودخنت (بضم العين) الدابة
دخنة مثل دخن (بكسر العين) (يستخلص منه الثبات
والدوام على حالة الدخنة اي الكدرة يعني صار نهائيا
في ذلك اللون أو لم يستطع الصبر على كثرة الدخان) .

واذا اخذنا مادة اخرى فيها الابنية الثلاثة مثل
« ش ر ف » ومعناه العلو نرى ما يلي : شرفه (بفتح
العين) : غلبه في الشرف . وشرف (بفتح العين)
الحائط : جعل له شرفه ، وشرفت (بفتح العين)
الناقة : صارت شارفا (اي على سبيل التشخيص

علت وارتفعت في السن) وشرف (بكسر العين)
الرجل : دام على اكل السنام (بمعنى غلبت عليه
شهوة اكل السنام اي الشرف وهو السنام أصلا من
نفس المادة) وشرفت (بكسر العين) الاذن وشرف
(بكسر العين) المنكب : ارتفعا اي شرفا (بكسر الراء)
اي صار مرتفعين - وشرف الرجل (بضم العين)
صار ذا شرف (اي في حالة ارتفاع وعو تبتت فيه
واصبح يتصف بها) وشرفت (بالضم) الناقة : صارت
شارفا (والفرق بين شرفت الناقة (بالكسر) وشرفت
(بالضم) واضح فالاول ملحوظ الوصف بعد عدمه
والثاني كثرته وتراكمه ودوامه حتى اصبح في اعلى
درجة منه) .

وفي مادة « حزن » حزن (بالكسر) حزنا وله
وعليه : ضد سر اي حصل له الحزن - وحزنه (بالفتح)
ضد سر (لغة تميم وهي عندي اقرب الى الاصل
العربي من لغة الحجاز) ، ولم يرد « حزن » (بالضم)
في الاستعمال تلافيا للطيرة مع ان مصدره حزونة بقي
مستعملا بالمعنى الحقيقي وهو غلاظة الارض وشدهتها .

وفي مادة « بشر » بشر وبشر بالثبوت وجهه
خرج به بشر : (والمفهوم الضمني المعاقبة بين الثاء
والزاي : « بز » والمعاقبة بين الثاء والصاد : بصر -
ومراعاة القلب المكاني : ثبر - فباتينا منه معنى القروح
ومعنى الكثرة ومعنى نوع من الارض . واذا وقفنا على
المعنى الاول فمفاده : بشر (بالفتح) وجهه : اخرج بثورا .
وبشر (بالكسر) وجهه حطت له بثور . وبشر (بالضم)
وجهه وهو : اصبح ذا بثور فهناك تدرج واضح في
المعاني بين فعل (بالفتح) وفعل (بالكسر) وفعل
(بالضم) وذلك في الافعال كلها .

وباعتبار هذا كله نصل الى الحقيقة الاتية وهي
ان العربي كان ينطق حسب ما في دماغه من اغراض .
واللغة العربية - داخل حدود نظريات وقواعد ثابتة -
اداة تمتاز بطواعية للتعبير عن جميع ما يختلج الفكر
لا ميل لها في أي لغة من لغات هذا العالم .